كفر سابا

كفر سابا: قرية فلسطينية مهجّرة من قضاء طولكرم

كفر سابا قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء طولكرم، كانت تقع في السهل الساحلي الأوسط على بعد نحو 16.5 كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من مدينة طولكرم، وعلى ارتفاع متوسط يبلغ نحو 50 مترًا عن سطح البحر. بلغ عدد سكانها 1,270 نسمة في إحصاءات 1944/1945. تعرضت لهجوم من لواء ألكسندروني في 10 أيار/مايو 1948 تمكن المدافعون من صده، ثم هوجمت مجددًا في 13 أيار واحتلتها قوات اللواء، فهُجّر سكانها خلال النكبة واحتلال فلسطين سنة 1948.

البيان	المعلومة
القضاء	طولكرم
المسافة من مركز القضاء	16.5 كم عن طولكرم

البيان	المعلومة
متوسط الارتفاع	50 مترًا عن سطح البحر
السكان سنة 1931	765 نسمة – تشمل عرب العبيدات
عدد المنازل سنة 1931	169 منزلًا – تشمل عرب العبيدات
السكان سنة 1944/1945	1,270 نسمة
تقدير السكان سنة 1948	نحو 1,473 نسمة – تقدير ديموغرافي لاحق وليس تعدادًا رسميًا
إجمالي الأراضي سنة 1945	9,688 دونمًا
الهجوم والتهجير	هاجمت الهاغاناه القرية في 10 أيار/مايو 1948 هجومًا «مباغتًا» صدّته القوة المدافعة التابعة لجيش الإنقاذ العربي، ثم هاجمتها وحدات من لواء ألكسندروني واحتلتها في 13 أيار/مايو 1948 بحسب بني موريس كما ينقله الخالدي؛ والأرجح أن السكان فرّوا أو طُردوا بعد الهجوم الثاني.
السيطرة الإسرائيلية النهائية	13 أيار/مايو 1948، بحسب بني موريس كما ينقله الخالدي؛ غير أن قائد جيش الإنقاذ فوزي القاوقجي سجّل في اليوم نفسه أن التقدم الأول صُدّ وأن القتال كان لا يزال دائرًا، ولا تذكر المصادر المتاحة تاريخًا لاحقًا للسيطرة على القرية.
الوحدة العسكرية المنفذة للهجوم أو الاحتلال	وحدات من لواء ألكسندروني – بحسب بني موريس كما ينقله الخالدي
سبب النزوح	هجوم عسكري مباشر من القوات الصهيونية، في إطار سياسة القيادة العامة للهاغاناه القاضية بإخلاء المنطقة من سكانها العرب بحلول 15 أيار/مايو 1948؛ والأرجح أن السكان فرّوا أو طُردوا بعد الهجوم الثاني
المستعمرات الموثقة على أراضي القرية	بيت بيرل، أُنشئت سنة 1947 إلى الشمال الغربي من موقع القرية على أراضيها؛ ونفي يمين، أُنشئت سنة 1949 شرقي الموقع على الأراضي المحيطة بمقام النبي يمين؛ كما امتدت بلدة كفار سابا، التي أُسست سنة 1903 جنوب غربي القرية، لتشمل معظم أراضي القرية

الموقع

كانت كفر سابا تقع على أرض مستوية في السهل الساحلي الأوسط، على بعد نحو 16.5 كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من مدينة طولكرم، وترتفع في المتوسط نحو 50 مترًا عن سطح البحر.

وكان طريق يافا–طولكرم العام يمر على بعد نحو 2.5 كيلومتر إلى الشرق منها، بينما كان خط سكة الحديد الواصل بين حيفا واللد يمر على بعد نحو 1.5 كيلومتر إلى الشرق، ويشكل جزءًا من الحد بين أراضي كفر سابا وأراضي قلقيلية.

كانت قلقيلية تبعد نحو 3 كيلومترات إلى الشمال الغربي من القرية، وربطتها بها طريق فرعية، كما ارتبطت كفر سابا

بالقرى المجاورة بطرق أخرى.

جاورتها مسكة من الشمال الغربي، وتبصر أو خربة عزون من الغرب، وبيار عدس من الجنوب، وجلجولية من الجنوب الشرقي، بينما كانت بلدة كفار سابا اليهودية تقع إلى الجنوب الغربي من القرية الفلسطينية.

كفر سابا عبر التاريخ

أُنشئت القرية الفلسطينية على بعد نحو 4 كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من خربة سابية، التي عُرّفت لدى بعض الباحثين بموقع كفر سابا الرومانية القديمة.

وكانت القرية تعرف أيام الصليبيين باسم قريب من «كفرسب» أو Kapharseb.

ذكر الجغرافي المقدسي كفر سابا سنة 985 ووصفها بأنها قرية كبيرة فيها مسجد وتقع على طريق دمشق.

كما ذكرها الرحالة ناصر خسرو سنة 1047، ووصفها بأنها بلدة غنية بأشجار التين والزيتون وتقع على طريق الرملة.

وفي سنة 1596 كانت كفر سابا قرية في ناحية بني صعب التابعة للواء نابلس، وقدر عدد سكانها بنحو 231 نسمة.

وكان سكانها يدفعون الضرائب على القمح والشعير والماعز وخلايا النحل وغيرها من موارد القرية.

وفي سنة 1730 زار الرحالة الصوفي المصري مصطفى أسعد اللقيمي المنطقة وذكر مقام بنيامين، المعروف أيضًا باسم مقام النبي يمين.

البنية المعمارية

في أواخر القرن التاسع عشر وُصفت كفر سابا بأنها قرية مبنية بالحجارة والطوب على تل قليل الارتفاع، وقدر عدد سكانها آنذاك بنحو 800 نسمة.

كان مخطط القرية أشبه بالمربع، وكانت تحيط بها أراضٍ رملية، بينما ظهرت بساتين الزيتون شمالها.

وكان إلى الشرق والشمال الشرقي منها عدد من الينابيع، وفر أحدها مياه الشرب للسكان.

وفي فترة الانتداب البريطاني توسع عمران القرية في اتجاه طريق طولكرم–يافا، بينما استصلحت أراضٍ زراعية جديدة إلى الغرب من موقعها.

بلغت المنطقة العربية المبنية نحو 26 دونمًا في إحصاءات 1944/1945.

السكان

بلغ عدد سكان كفر سابا 546 نسمة في تعداد سنة 1922.

وفي تعداد سنة 1931 ارتفع العدد إلى 765 نسمة، وكانوا يقيمون في 169 منزلًا. وتشير الإحصاءات إلى أن هذه الأرقام تشمل عرب العبيدات.

وفي إحصاءات 1944/1945 بلغ عدد سكان القرية 1,270 نسمة.

وكان سكان القرية الفلسطينيون من المسلمين.

أما تقديرا 1,473 نسمة لسنة 1948 و9,047 لاجئًا وذريتهم سنة 1998 المنشوران في «فلسطين في الذاكرة»، فهما تقديران لاحقان وليسا تعدادين رسميين لحكومة فلسطين الانتدابية.

تطور عدد سكان كفر سابا

السنة	عدد السكان	طبيعة الرقم
1596	نحو 231	تقدير تاريخي استنادًا إلى السجلات العثمانية
أواخر القرن التاسع عشر	نحو 800	تقدير تاريخي
1922	546	تعداد رسمي
1931	765	تعداد رسمي؛ يشمل عرب العبيدات
1944/1945	1,270	إحصاءات حكومة فلسطين
1948	نحو 1,473	تقدير لاحق
1998	9,047	تقدير للاجئين وذريتهم

عدد المنازل

سجل تعداد سنة 1931 وجود 169 منزلًا في كفر سابا، وتشمل هذه البيانات عرب العبيدات.

المسجد والمقامات

كان في كفر سابا مسجد يخدم سكان القرية المسلمين.

وكان فيها مقامان معروفان: مقام النبي يمين، أو بنيامين، ومقام النبي يحيى.

وتورد روايات محلية لأهالي القرية تفاصيل عن مبنى المسجد وإمامه ومؤذنه قبل النكبة، كما تذكر وجود زاويتين صوفيتين لآل النجار وآل البلاسمة. وهذه التفاصيل مستقاة من التوثيق المحلي وليست كلها مثبتة بالتفصيل نفسه في المادة المرجعية الأساسية لوليد الخالدي وPalQuest.

التعليم

تؤكد المصادر المرجعية وجود مدرسة ابتدائية واحدة في كفر سابا.

وبحسب توثيق محلي منشور لأهالي القرية، ظهرت مدرسة أو كُتّاب في أواخر العهد العثماني نحو سنة 1893، وكان فيها 55 تلميذًا.

ويذكر المصدر المحلي أن المدرسة فُتحت في فترة الانتداب سنة 1930 حتى الصف الرابع، ثم توسعت لاحقًا حتى الصف السادس.

ولأن هذه التواريخ والتفاصيل التعليمية لا ترد كاملة في مادة وليد الخالدي وPalQuest، فإنها تُذكر هنا بوصفها توثيقًا محليًا للقرية.

أراضي كفر سابا

بلغ مجموع أراضي كفر سابا وفق إحصاءات 1944/1945 نحو 9,688 دونمًا.

بلغت الملكية العربية 6,019 دونمًا، والملكية اليهودية 3,144 دونمًا، بينما بلغت الأراضي العامة 525 دونمًا.

المجموع	9,688
فئة الملكية	**المساحة بالدونم**
ملكية عربية	6,019
ملكية يهودية	3,144
أراضٍ عامة	525

الزراعة والحياة الاقتصادية

اعتمد سكان كفر سابا بصورة رئيسية على الزراعة، وزرعوا القمح والحبوب والبطيخ والخيار والخضروات والحمضيات والموز والزيتون.

في إحصاءات 1944/1945 بلغت الأراضي المزروعة بالحمضيات والموز 2,225 دونمًا، منها 1,026 دونمًا عربية و1,199 دونمًا يهودية.

وبلغت الأراضي المروية أو المستخدمة للبساتين 579 دونمًا، منها 355 دونمًا عربية و224 دونمًا يهودية.

أما الحبوب فبلغ مجموع الأراضي المزروعة بها 6,337 دونمًا، منها 4,600 دونم عربية، و1,675 دونمًا يهودية، و62 دونمًا من الأراضي العامة.

ويورد «فلسطين في الذاكرة» رقم 4,662 دونمًا في خانة الحبوب العربية، لكنه يبدو ناتجًا من ضم الـ62 دونمًا العامة إلى المساحة العربية؛ لذلك يعتمد هذا المقال التقسيم المفصل المنشور في PalQuest.

وكان نحو 30 دونمًا من الأراضي العربية مغروسًا بأشجار الزيتون، وهو رقم داخل فئة الأراضي الزراعية والبساتين ولا يضاف مرة أخرى إلى المجموع.

المجموع	**6,019**	**3,144**	**525**	**9,688**
نوع الاستخدام	**عرب**	**يهود**	**عام**	**المجموع**
الحمضيات والموز	1,026	1,199	0	2,225
الأراضي المروية والبساتين	355	224	0	579
الحبوب	4,600	1,675	62	6,337
المبنية	26	0	0	26
غير الصالحة للزراعة	12	46	463	521

الطرق والمواصلات

كان طريق يافا–طولكرم العام يمر على بعد نحو 2.5 كيلومتر إلى الشرق من كفر سابا.

كما كان خط سكة الحديد الممتد بين حيفا واللد يمر على بعد نحو 1.5 كيلومتر إلى الشرق، ويشكل جزءًا من الحد بين أراضي كفر سابا وأراضي قلقيلية.

وكانت طريق فرعية تصل القرية بقلقيلية، الواقعة على بعد نحو 3 كيلومترات إلى الشمال الغربي، إضافة إلى طرق ربطتها بالقرى المجاورة.

الهجمات على كفر سابا

في كانون الأول/ديسمبر 1947 اجتمع ممثلون عن كفر سابا مع ممثلين عن المستعمرات اليهودية المجاورة، وتذكر المصادر أن الطرفين تعهدا في ذلك الوقت بالمحافظة على الهدوء.

لكن في أيار/مايو 1948 كُلِّف **لواء ألكسندروني** باحتلال كفر سابا ضمن سياسة عسكرية هدفت إلى إفراغ المنطقة الواقعة شمال تل أبيب من سكانها العرب قبل انتهاء الانتداب البريطاني.

هجوم 10 أيار

في **10 أيار/مايو 1948** شنت قوات الهاغاناه هجومًا مباغتًا على كفر سابا.

وبحسب سجلات جيش الإنقاذ العربي التي ينقلها وليد الخالدي وPalQuest، تمكنت القوة المدافعة عن القرية من صد الهجوم منذ بدايته.

وذكر قائد جيش الإنقاذ فوزي القاوقجي أن الهجوم أثار الذعر بين السكان، وأنه اعتقد أن هدفه كان استطلاع مواقع القوات العربية تمهيدًا لهجوم أوسع باتجاه قلقيلية.

احتلال كفر سابا وتهجير سكانها

في **13 أيار/مايو 1948** شن لواء ألكسندروني هجومًا ثانيًا على كفر سابا.

وتنقل PalQuest ووليد الخالدي عن فوزي القاوقجي أن الهجوم جرى على محور شمالي–جنوبي، وأن الاشتباكات استمرت بعد صد التقدم الأول.

وتنسب الرواية التفصيلية في PalQuest احتلال القرية في ذلك اليوم إلى **وحدات من لواء ألكسندروني**.

ويرجح وليد الخالدي أن سكان كفر سابا فروا أو طُردوا بعد الهجوم الثاني، وأن وصولهم إلى قلقيلية ساهم في إخلائها مؤقتًا.

وتوجد ملاحظة زمنية مهمة: إذ يعطي جدول «فلسطين في الذاكرة» وبعض الوثائق المختصرة تاريخ **15 أيار/مايو**، بينما تؤرخ الرواية التفصيلية للهجوم الحاسم والاحتلال في 13 أيار. لذلك يعتمد هذا المقال 13 أيار كتاريخ الهجوم والاحتلال العسكري الموثق تفصيليًا، مع الإشارة إلى أن عملية الإفراغ أو تثبيت السيطرة قد تكون اكتملت بحلول 15 أيار.

ولا تعطي المادة المرجعية الأساسية في PalQuest اسم عملية عسكرية منفصلة مؤكدة لاحتلال كفر سابا؛ ولذلك

يُنسب الاحتلال مباشرة إلى لواء ألكسندروني بدل إسناده إلى عملية غير موثقة بصورة كافية.

وتُنقل المعلومات المأخوذة من المصادر العسكرية الإسرائيلية هنا حصراً كما أوردها وليد الخالدي وPalQuest، وليس اعتمادًا مباشرًا على تلك المصادر.

تسلسل الاحتلال والتهجير

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
إقامة مستعمرة على أراضي القرية	1947	أُنشئت مستعمرة بيت بيرل إلى الشمال الغربي من موقع القرية، وهي تقع على أراضيها.
أول هجوم على القرية	10 أيار/مايو 1948	شنّت الهاغاناه هجومًا «مباغتًا» على القرية صُدّ «منذ البداية»، بحسب قائد جيش الإنقاذ العربي فوزي القاوقجي، الذي قال إنه خلّف الذعر في صفوف السكان. وتُظهر سجلات جيش الإنقاذ أن الوحدة المدافعة عن القرية أمرت السكان بالعودة بعد هذا الهجوم.
هجوم ثانٍ	13 أيار/مايو 1948	سجّل القاوقجي هجومًا ثانيًا على محور شمالي–جنوبي يتجه من طولكرم إلى كفر سابا، وقال إن التقدم الأول صُدّ بعد أن تكبدت الهاغاناه خسائر جسيمة وإن القتال كان لا يزال دائرًا.
الاحتلال النهائي	13 أيار/مايو 1948	بحسب المؤرخ الإسرائيلي بني موريس كما ينقله الخالدي، هاجمت وحدات من لواء ألكسندروني القرية واحتلتها في هذا اليوم، وكان اللواء قد كُلّف احتلالها تنفيذًا لسياسة القيادة العامة للهاغاناه القاضية بإخلاء المنطقة من سكانها العرب بحلول 15 أيار/مايو. ويختلف ذلك عن سجل القاوقجي لليوم نفسه، الذي يفيد بأن القتال كان لا يزال دائرًا.
تهجير السكان	بعد 13 أيار/مايو 1948	يرجّح الخالدي أن السكان فرّوا أو طُردوا بعد الهجوم الثاني، وأن وصولهم إلى قلقيلية أدى بدوره إلى إخلاء البلدة مؤقتًا.
إقامة مستعمرة على أراضي القرية	1949	أُنشئت مستعمرة نفي يمين، المسماة تيمنًا بالنبي يمين، شرقي موقع القرية على الأراضي المحيطة بمقام النبي يمين.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي كفر سابا

كفار سابا

كانت البلدة اليهودية «كفار سابا» قد أُنشئت سنة 1903 إلى الجنوب الغربي من القرية الفلسطينية، وكان عدد سكانها يتجاوز 5,000 نسمة سنة 1948.

وبعد النكبة توسعت البلدة بصورة كبيرة حتى شملت معظم أراضي كفر سابا الفلسطينية وموقعها.

بيت بيرل

أُنشئت «بيت بيرل» سنة 1947 إلى الشمال الغربي من موقع القرية، وتقع على أراضي كفر سابا الفلسطينية.

نفي يمين

أُنشئت «نفي يمين» سنة 1949 شرقي موقع القرية على الأراضي المحيطة بمقام النبي يمين، وسُميت نسبة إليه.

نير إلياهو

أما «نير إلياهو»، التي أُنشئت سنة 1950 على بعد نحو كيلومتر إلى الشمال الشرقي من موقع القرية، فتقع على أراضي قلقيلية المجاورة، وليس على أراضي كفر سابا.

المستعمرات والتجمعات المرتبطة بأراضي كفر سابا

الاسم	سنة الإنشاء	العلاقة بأراضي القرية
كفار سابا	1903	كانت جنوب غربي القرية ثم توسعت بعد 1948 على معظم أراضيها
بيت بيرل	1947	أُنشئت على أراضي القرية شمال غرب الموقع
نفي يمين	1949	أُنشئت شرقي الموقع على أراضي القرية حول مقام النبي يمين
نير إلياهو	1950	قريبة من الموقع لكنها أُنشئت على أراضي قلقيلية

كفر سابا بعد النكبة

وفق التوثيق الميداني الذي اعتمد عليه وليد الخالدي، استُخدم موقع القرية لبناء أحياء ومنشآت ضمن منطقة صناعية أصبحت جزءًا من التوسع العمراني لكفار سابا.

لم تُدمر جميع منازل القرية؛ فقد بقي عدد من المباني القديمة قائمًا داخل التوسع العمراني، واستُخدم بعضها لأغراض تجارية.

كما بقي **مقاما النبي يمين والنبي يحيى، ومبنى المدرسة، وحطام مقبرة القرية.**

ويتميز المقامان بمداخل مقنطرة وتعلوهما قبتان.

واستُخدمت الأراضي المحيطة بالموقع في الزراعة.

ويعكس هذا الوصف حالة الموقع في زمن التوثيق الميداني الذي اعتمد عليه وليد الخالدي، ولا يمثل بالضرورة مسحًا شاملاً ومحدثًا لسنة 2026.

المصادر

- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية PalQuest: كفر سابا.
- PalQuest: Kafr Saba.
- فلسطين في الذاكرة: كفر سابا، قضاء طولكرم.
- وليد الخالدي، «كي لا ننسى»: كفر سابا، كما نشرته فلسطين في الذاكرة.
- توثيق محلي لتاريخ وعائلات كفر سابا.
- وليد الخالدي، «كي لا ننسى»، مادة كفر سابا.
- فوزي القاوقجي، سجلات وتقارير جيش الإنقاذ العربي، كما نقلها وليد الخالدي وPalQuest.
- حكومة فلسطين، تعداد السكان لسنتي 1922 و1931.
- حكومة فلسطين، دائرة الإحصاء، «إحصاءات القرى لسنة 1945».